

الأبعاد العرفانية الماورائية لمقالة "الحقيقة المحمدية" لدى ابن العربي الحاتمي (د)
638هـ/1240م).

د. عبد الكريم بليل (جامعة الشاذلي بن جديد؛ الجزائر).

ملخص:

تصنف مقالة " الحقيقة المحمدية" من أصول التصوف، وقد نظمت شعرا وسماعا وذكرًا. وعبرت عن مرحلة جديدة من التصوف؛ بانتقال المتصوفة من اللهج "بالحب الإلهي" في أشعارهم وأذكارهم وسماعهم؛ إلى "الحب المحمدي". وهي تجعل للنبي ﷺ حقيقتين؛ إحداهما قديمة؛ وهي النور الأزلي، الذي منه استمدت الأكوان كل علم وعرفان، والأخرى حادثة؛ وهي الرسالة المحمدية. وقد خاض الإمام محي الدين ابن العربي الحاتمي في بسط مفاهيمها بما جعل من تلاه عيالًا عليه؛ فأثر في أغلب من تلاه من الصوفية والشيعة معا. نرمي في ثنايا الورقات المقدمة سير المفاهيم والأبعاد الماورائية لنظرية ابن العربي في مقالة "الحقيقة المحمدية"، وتحلية لغته الماورائية الصوفية، وأبعادها الفلسفية.

Summary:

Prepare an article " True of Muhammadiyah" From the origins of Sufism after its spread, it organized poetry, hearing, entioning and Radha. A new phase of mysticism was expressed; With ivine Love" In their poetry, adhkaar and hearing; Love Muhammadiyah". Common denominator of all the definitions they make for the prophet ﷺ Two truths, according to the theory of the Halaget", one of them is ancient, and it is the eternal light from which the universes are derived, all knowledge, and the ther is an accident; True of Muhammadiyah" By making the one who read it to him, groping his cloak whenever they meant to say it,he affected most of the following of Sufism and Shia together, each taking what was appropriate and first on his creed; but he leaned against the pillar of Imam Ibn al-Arabi al-Hatami, to increase the solidity of his intellectual and nodal structure. In the papers presented, we aim to probe the concepts and dimensions of the theory of Ibn al-Arabi in an article "The Mohammedan Truth, " His mystical language is philosophical.

الكلمات المفتاحية: محي الدين بن العربي، الحقيقة المحمدية، النور المحمدي، لإنسان الكامل.

Keywords: Muhiddin ibn al-Arabi, the truth of Muhammadiyah, Nur al-Mohamadi, for the whole human being

مقدمة:

بسم الله كاشف الحقائق وباعث الأنوار على أهل الأنفاس والعرفان، ومرسل خاتم الأنبياء هدى للناس أجمعين؛ وصلى الله على نبي الهدى وآله، ورضي عن صحابته وأتباعهم وأوليائه إلى يوم الدين؛ أما بعد:

تصنف مقالة "الحقيقة المحمدية" من أصول التصوف بعد انتشارها، فقد نظمت شعرا وسماعا وذكرًا وأورادا. وعبرت عن مرحلة جديدة من التصوف؛ بانتقال المتصوفة من "الحب الإلهي" في أشعارهم وأذكارهم وسماعهم؛ إلى "الحب المحمدي".

والقاسم المشترك لكل التعاريف أنها تجعل للنبي ﷺ حقيقتين، حسب "النظرية الحلاجية" "إحداها قديمة؛ وهي "النور الأزلي"، الذي منه استمدت الأكوان كل الوجود والعرفان، والأخرى حادثة؛ وهي "الرسالة المحمدية"، التي وجدت في زمان ومكان معين.

وقد خاض الإمام محي الدين ابن العربي الأندلسي الحاتمي الطائي في بسط مفاهيم مقالة "الحقيقة المحمدية"؛ بما جعل من تلاه عيالا عليه؛ يتلمسون عبايته كلما قصدوا القول فيها، فتسلط علمه على أغلب من تلاه من الصوفية السنة والشيعة معا، وكل أخذ بما يناسبه، وأول على مذهبه؛ لكنه اتكأ على عمود الإمام ابن العربي الحاتمي؛ ليزيد صلابة بنيانه الفكري والعقدي في تأصيل مسائل العرفان النظري.

و بعض من يفرك في فكر ابن العربي؛ نجد منهم سبلا تعقد الولوج لمراسيم عرفان الشيخ الأكبر، بإنزالهم لأقوال بعض أتباعه أو من استقى من رصيده تضاعيفه، فيأخذهم بكلامهم و يحاكم به ابن العربي، و لم يرع انتباهه أن من غرف من نتاج الشيخ الأكبر طوائف قددا، و من مشارب متنافرة، والرصد الحقيق لمقالة الشيخ الأكبر يكون بدأ بحر كلامه المبين لا الجمل، ثم تفك رموز غامضه بأطاريح الأقربين له في المذهب.

وإذ طرح مقالة الحقيقة المحمدية حادث في أطوار التصوف؛ فقد تركبت جملة من الأسئلة تمثل الإشكالية المطروحة في الورقة البحثية وهي: ماهي الأبعاد الماورائية لنظرية محي الدين بن العربي الحاتمي في مقالة "الحقيقة المحمدية"؟

وتجلية لغة ابن العربي الماورائية الصوفية كان وفق المنهج الوصفي التحليلي، لبيان الأبعاد العرفانية والفلسفية في طرحه لمقالة جديدة في بحار التصوف النظري العرفاني، والمقاربات الفلسفية الصوفية. وقد عرضت دراسات عديدة لفكر ابن العربي في جوانب عدة، ومن أهمها "الحقيقة المحمدية"، "الإنسان الكامل"، و "وحدة الوجود"، وغيرها، ومما عرض من دراسات أكاديمية محكمة عن "الحقيقة

المحمدية عند ابن العربي" مقال: "العلاقة بين الحقيقة المحمدية والإنسان الكامل عند الشاعر الشيخ محيي الدين بن عربي": عبد المنعم عزيز النصر.

مع توفر دراسات عامة عن الحقيقة المحمدية مثل كتاب: "الحقيقة المحمدية عند أقطاب السادة الصوفية إسلاما وإيمانا وإحسانا": عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي.

ومقال: "نظرية الحقيقة المحمدية في الدراسات الصوفية": مصطفى نجو، و"الحقيقة المحمدية في الفكر الصوفي": ليلي فروزان، و"الحقيقة المحمدية في المدائح المغربية": محمد شداد الحراق، ورسالة موسوم ب: "النور المحمدي في ميدان الفلسفة الإسلامية": أميمة محمد عبد الله كليب.

في هذه الورقة نحاول قصر دراسة فكر الإمام محيي الدين ابن العربي على مقالة الحقيقة المحمدية، لأننا نسعى لإثبات أنها حجر الأساس في بناء سور "الخلافة الفاضلة العرفانية"، ومنها ينطلق تأصيل مقالاته بعد تفصيل مفهوم "النور المحمدي" إلى "الحقيقة الأحادية الجمعية"، "مراتب الوجود"، "الإنسان الكامل"، "قطب الأقطاب"، "الختم"، "الكشف"، "الفناء"، "وحدة الشهود"، و"وحدة الوجود الصفاتية"، وغيرها.

وهنا نلمس تقارب الرؤى والأهداف واختلاف اللغة، في طرح الفيلسوف الإسماعيلي الباطني الفارابي (ت339هـ - 950م)؛ مع طرح الشيخ الصوفي المتفلسف العرفاني ابن العربي (ت638هـ - 1240م)، فكليهما بنى مملكته بتأصيل النشأة الأولى، والخوض في مباحث الوجود والمعرفة والقيم، وماهية الحق، وماهية الإنسان، وماهية العالم، ثم ماهية الروابط بين أصول الكون الثلاثة: الحق والإنسان والعالم.

مع رابط قوي بينهما، فالفارابي من ناشري الأفلاطونية المحدثة، ومن معظمي فلسفة أفلاطون، وابن العربي وُصف بابن أفلاطون الحكيم، ولا يرى في الفلسفة أحسن منه، وقد وصف أفلاطون: بالحكيم، وكثير من تأصيلات ابن العربي لها أمشاج قوية جدا مع فلسفة أفلاطون والأفلاطونية المحدثة، والفيثاغورية المحدثة، والأفلاطونية المحدثة و تاسعايات أفلوطين المنسوبة لأفلاطون تمثل قمة التنظير العرفاني في زمانها، و قمة عملية التوفيق بين الفلسفة والدين في قالب روحاني عرفاني.

جعل الفارابي رئيس المملكة خليفة للحق وهو الحكيم الفيلسوف، وجعل ابن العربي رئيس المملكة خليفة رسول الله الذي هو خليفة الله تعالى وهو القطب الصوفي، وأساس ارتقاء الرئيس الخليفة لدى الفارابي الكمال العقلي، وأساس ارتقاء الرئيس الخليفة لدى ابن العربي الارتقاء العرفاني. ورئيس الفارابي يجتهد عقليا ليتصل بالعقل الفعال، ورئيس ابن العربي يجتهد عرفانيا ليتصل بالحقيقة المحمدية وهي العقل الفعال، ومدينة ابن العربي الفاضلة قائمة في الإنسان الكامل.

نقدم الورقة البحثية وفق الخطة:

- أولاً: تعريف الحقيقة المحمدية.
- ثانياً: الحقيقة المحمدية في التراث الصوفي
- ثالثاً: الحقيقة المحمدية عند ابن العربي الحاتمي.
- أ- أصل الوجود.
- ب- الإنسان الكامل.
- ت- مصدر المعرفة.
- خاتمة:

أولاً: تعريف الحقيقة المحمدية.

يراد بمصطلح " الحقيقة المحمدية " بيان حقيقة النبي محمد ﷺ الزائدة عن الحقيقة البشرية الظاهرة. وهي " الذات " مع التعيين الأول، والاسم الأعظم " (1). " وهي " الروح الأعظم "، الذي هو الروح الإنساني، مظهر الذات الإلهية من حيث ربوبيتها.. وهو العقل الأول.. والنفس الواحدة، و" الحقيقة الأسمائية"، وهو أول موجود خلقه الله على صورته، وهو " الخليفة الأكبر"، وهو " الجوهر التوراني"، جوهريته مظهر الذات، ونورانيته مظهر علمها" (2).

يبين هذا التعريف أن الحقيقة المحمدية ترفع مقام النبي محمد ﷺ عن البشرية الجسدية، وتنقله لمقام النور الروحاني القدس الذي يتجلى في صور الأنبياء.

ومنظرو المقالة لا يقولون بخلقها بل هي "تعيين"، لأنها موجود كنور أولي قديم، فلم توجد من عدم ولا سرى عليها أمر كن، فكينونتها قديمة وأزلية قائمة مع وجود الحق، وهي تجل لنور الحق الظاهر. و" هي أكمل مجلى خلقي ظهر فيه الحق، بل هي "الإنسان الكامل" بأخص معانيه، وإن كان كل موجود هو مجلى خاصا لاسم إلهي؛ فإن محمدا ﷺ قد انفرد بأنه مجلى "للاسم الجامع"، وهو "الاسم الأعظم"، ولذلك كانت له مرتبة "الجمعية المطلقة" (3).

والنور الأول هو نور وجهه تعالى، " وهي تجلي للذات الإلهية، ونورها أول الأنوار، وأساس الوجود" (4). فتكون الحقيقة المحمدية بذلك صدورا وفيضا عن إشراق نوره تعالى، وبهذا وجودها بلا خلق ولا حدوث؛ فهي قديمة قدم النور الأول، وأبدية أزلية به، لأنها تعين عن النور الأول. وتمثل جوهر الحقيقة النبوية الساري في أجساد الأنبياء و الرسل و الأولياء، و في تلقيها درجات، أعلاها الكمال

(1) التعريفات، الجرجاني، ص 90.

(2) المرجع نفسه، ص 112.

(3) المعجم الصوفي، سعاد الحكيم، ص 348.

(4) أبو سالم العياشي المتصوف الأديب، عبد الله بنصر العلوي، ص 249-250.

المحمدي. بدايته من " آدم عليه السلام، وصار ينتقل في الأنبياء من بعده، حتى ظهر بصورة النبي محمد ﷺ البشر (1).

كانت **الحقيقة المحمدية** موجودة في **الهباء** (2)، فلما تجلى الله بنوره إلى ذلك **الهباء** - والعالم كله فيه - بالقوة، قبل منه كل شيء على حسب قرينه من النور، ولم يكن أحد أقرب إليه من **حقيقته** ﷺ، فكان **مبدأ ظهور العالم وأول موجود،** والوجود الخارجي للنبوة هو مظهر لصورة هذا الوجود في العالم الإلهي القديم (3).

أي أن حقيقة الكون في عالمين اثنين، واحد قديم وثان حادث، و الحادث عبارة عن تمظهر و تجل للقديم كصورة مقابلة غير كاملة، لأن القديم هو الأصل و الكمون الكمالي كله فيه، و حين انبثاقه وصدوره عنه بفيض دائم يتمظهر في العالم السفلي الحادث، و أول تعين للذات الإلهية في العالم القديم هو الحقيقة المحمدية، و هي مبدأ التكثر بعد الوحدة و الأحادية الجمعية الكامنة في الحق الأول. نخلص من جملة التعاريف إلى:

1. النبي محمد ﷺ له حقيقتان: حقيقة بشرية محدثة، و حقيقة نورانية روحانية علوية قديمة.
2. الحقيقة المحمدية هي أول تعين للنور الإلهي.
3. الحقيقة المحمدية قديمة قد الذات الإلهية.
4. الحقيقة المحمدية متجسدة متمظهرة في صور الأنبياء من لدن آدم إلى خاتمهم محمد ﷺ.
5. الحقيقة المحمدية أزلية لطبيعتها النورانية العلوية.

ثانيا: **الحقيقة المحمدية في التراث الصوفي.**

الحقيقة المحمدية من الاصطلاحات الحادثة التي دخلت علم التصوف في القرن الرابع، و "يعد **الحلاج** (ت 309 هـ - 922م) أول من تكلم عن "الحقيقة المحمدية" حسب أغلب الدراسات، فقد بدأت منذ جهر بأفكاره **الصوفية الفلسفية**" (4)، فقال بأن **لمحمد الرسول** ﷺ حقيقتين (5). وطرح هاته المقالة كان له أكبر الأثر في وضع أساس هذه النظرية (6)، مع طرحه لمقالة **النور المحمدي.**

(1) الشعر الصوفي بين مفهومي الانفصال والتوحد، وفيق سلطين، ص 113.

(2) **الهباء** هو: المادة المحدثة التي خلق الله فيها صورة العالم، فهي **الجوهر المظلم** الذي قبل صور أجسام العالم، وهي ما يسميها الفلاسفة "**الهيولي**" في مقابل "**الصورة**"، تختلف في ماديتها عن الجسم الكلي الموجود المتعين، في أنها غير متعين، جوهر يقبل المعاني. - المعجم الصوفي، سعاد الحكيم، ص 1095.

(3) شعر عمر بن الفارض؛ دراسة في فن الشعر الصوفي، عاطف جودة ناصر، ص 204-205.

(4) العلاقة بن الحقيقة المحمدية والإنسان الكامل عند الشاعر محيي الدين بن عربي، عبد المنعم عزيز، ج 27، ص 373.

(5) أبو سالم العياشي المتصوف الأديب، عبد الله بنصر العلوي، ص 247.

(6) قضايا وإشكاليات التصوف عند أحمد بن علوان، عبد الكريم قاسم، ص 293.

يرى بعض الباحثين أن **الحلاج** تلقى مقالة "الحقيقة المحمدية" عن سهل التستري (ت 283 هـ-896م)، الذي وضع أول تصور متكامل لتقدم خلق نور محمد في الفكر الصوفي⁽¹⁾.

والحلاج هو من اجتهد في تحديث النظرية ونشرها. ونقل التصوف لطور آخر، اقترب فيه من الفلسفات العرفانية في كثير من مصطلحاته ومضامينها، وتحول المتصوفة من "الحب الإلهي" في أشعارهم وأذكارهم وسماعهم؛ إلى "الحب المحمدي".

.. والقاسم المشترك لكل التعاريف أنما تجعل للنبي ﷺ حقيقتين، حسب "النظرية الحلاجية" إحداهما قديمة؛ وهي **النور الأزلي**، الذي منه استمدت الأكوان الوجود وكل علم وعرفان، والأخرى حديثة؛ وهي **الرسالة المحمدية**، التي وجدت في زمان ومكان معين⁽²⁾.

يرى **الحلاج** أن أنوار " النبوة من نوره ﷺ برزت، وأنوارهم من نوره ﷺ ظهرت، وليس في الأنوار نور أنور وأظهر وأقدم في القدم سوى نور صاحب الكرم ﷺ . همته ﷺ سبقت الهمم ووجوده سبق **العدم**، واسمه سبق القلم، لأنه كان قبل الأمم والشيم.. هو سيد أهل البرية الذي اسمه أحمد ﷺ، ونعته أوحد.."⁽³⁾. **فالحلاج** يعتقد بقدم **النور المحمدي**⁽⁴⁾.

و يظهر من نصوص صوفية عديدة أن مصطلح "النور المحمدي" له سبق الظهور و التمهيد لمصطلح "الحقيقة المحمدية"، و للمصطلح ذكر في القراءان و كلام المفسرين والفقهاء و المحدثين وأصحاب السير و المغازي و الشعراء و غيرهم، كقوله تعالى (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ) (المائدة:15)، فسر "النور" بمحمد الرسول ﷺ عند ابن عباس (ت 68هـ - 687 م)، و الطبري (ت 310 هـ - 923 م)، و البغوي (ت 516 هـ - 1122 م)، و ابن كثير (ت 703 هـ - 1373 م) وغيرهم⁽⁵⁾.

يقول أبو طالب المكي (ت 386 هـ - 996م): " قال بعض أهل المعرفة: خلق الله الجنة بما فيها من "نور" **المصطفى** ﷺ، فلما اشتاقت إلى رسول الله ﷺ، كان شوقها إلى المعدن والأصل، وصار

⁽¹⁾ نظرية المحبة الإلهية.. بدأت في القرن الأول وتطورت في القرن الثاني بين جماعة من العباد من تلامذة الحسن البصري، وظهرت مشاهد الخوف والفرع والصرع والغشيان، ثم ظهر كلام لهم يمزج بين الخوف والحزن، ليتطور إلى كلام يمزج بين الحب والتأله. - نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، علي سامي النشار، ج3، ص 187.

⁽²⁾ أبو سالم العياشي المتصوف الأديب، عبد الله بنصر العلوي، ص 247.

⁽³⁾ قصة الحلاج وما جرى له مع أهل بغداد، الحسين بن منصور الحلاج، ص 112-114.

⁽⁴⁾ العلاقة بين الحقيقة المحمدية والإنسان الكامل، عبد المنعم عزيز النصر، ص 216.

⁽⁵⁾ جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج10، ص 143. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، ص 313. معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ج3، ص 33. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج3، ص 67.

شوق المشتاقين إلى الجنة شوقهم إلى النبي ﷺ، لأنها من نوره تُخلقت⁽¹⁾. فيكون النور المحمدي مادة منها خرجت مكونات الوجود؛ وهو أقدم من الجنة.

ويقول محمد بن سليمان الجزولي (ت 869هـ-1465م): " اللهم صل على سيدنا محمد بحر أنوارك.. إنسان عين الوجود، والسبب في كل موجود، عين أعيان خلقك المتقدم من "نور" ضيائك⁽²⁾.. اللهم صل على محمد الذي هو قطب الجلالة⁽³⁾.. اللهم صل على سيدنا محمد ﷺ نور الذات، وسرّه الساري في جميع الأسماء والصفات"⁽⁴⁾.

ويقول عبد السلام بن بشيش: " اللهم صل على من منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار، وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق.. وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة"⁽⁵⁾.

فالحقيقة المحمدية بمقالة أهل الطائفة قديمة وليست حادثة، وهي نور يفيض بأنوار، وهي مصدر العلوم والعرافان، وعلّة الأكوان، وهنا التلامس مع العقل الفعال مصدر العلوم والمعارف.

والحق لم يعرف إلا بعد تعيين الحقيقة المحمدية، والحقيقة المحمدية لم تعرف إلا بعد أن أمدت العقول بنورها المحمدي، فالبحت عن الحقيقة المحمدية هو بحث عن مجموع العالم⁽⁶⁾. لأن العالم

الواقعي الظاهر لنا هو انعكاس للعالم الإلهي، لوجود عالمين، الأول غائب يمثل الحقيقة الفعلية؛ وله انعكاس ومثال متجسد في عالمنا، الذي هو عبارة عن "صورة خيال" للعالم الحقيقي. والتجلي للنور

مستمر بلا انقطاع في صور عديدة عبر الأزمان والأماكن، ولا انقطاع للحقيقة المحمدية فهي مستمرة أزلية؛ وهنا تبرز نظرية الفيض المستمر، وظهور النبي ﷺ عيانا يقظة؛ والتلقي عنه، وبهذا يكون الوحي

مستمر بلا انقطاع، فيما يلقي من العرفان لأولياء الله، وما يفيض على القطب الغوث. فهنالک رسول واحد بعث إلى العالمين في أزمنة مختلفة، وفي مظاهر جسمانية متباينة، كي يعلن

للناس إرادة الله وينبئهم بمشيئته⁽⁷⁾.

لأن الحقيقة المحمدية كتجريد عقلي أو عرفان روحي تتناسخ من نبي لآخر، وبذلك تكون "تجليا للذات الإلهية"، ويكون نورها "أول الأنوار"، وهي "أساس الوجود"⁽⁸⁾، المستمر في التجلي

(1) قوت القلوب، أبو طالب المكي، ص 30-31.

(2) دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار ﷺ، الجزولي، ص 100.

(3) المرجع نفسه، ص 214.

(4) المرجع نفسه، ص 233.

(5) النفحة العلية في أورد الشاذلية، عبد القادر زكي، ص 15-16.

(6) النور المحمدي في ميدان الفلسفة الإسلامية، أميمة محمد، ص 54.

(7) شعر عمر بن الفارض؛ دراسة في فن الشعر الصوفي، عاطف جودة نصر، ص 206.

(8) أبو سالم العياشي المتصوف الأديب، عبد الله بنصر العلوي، ص 249-250.

والتمظهر الجسماني في صور الأنبياء، " (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ
رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (البقرة:136).

ما يمكن معه القول بأن "الحقيقة النبوية" في سيرها الأزلي في ضمير الأزمان والآباد، وكمفهوم يعبر
عنه أو يرمز إليه "النور المحمدي"، هي نتيجة منطقي لهذا الأصل الاعتقادي في القرآن⁽¹⁾.

ثالثاً: الحقيقة المحمدية عند ابن العربي الحاتمي.

استمر الحديث عن "الحقيقة المحمدية" في أدبيات التصوف من شعر وسماع، لكن حضورها لم
يحض بكبير اهتمام حتى أواخر القرن السادس الهجري حين ظهر محيي الدين بن العربي الحاتمي
الذي رفع التصوف لذروته السامقة، فكان "أهم من قال بفكرة "الحقيقة المحمدية"، وجعل منها
"نظرية صوفية فلسفية" في الوجود⁽²⁾، وبسط الكلام فيها في كتابه "فصوص الحكم"، حيث جعل
لكل فص نبي تنتقل منه الحقيقة للذي يليه، لتنتهي عند خاتم الأنبياء، وكل نبي هو استمرار للنور
المحمدي، وتجل للحقيقة المحمدية إلى أن تبلغ ذروة تجليه في الزمان والمكان الحادث، فمن جهة
أنطولوجية هنالك ناسخ لوجود ثابت، ومن جهة إبستمولوجية هنالك وحدة مصدرية ثابتة، فالجسد
الفيزيائي تجسد لروح أصيلة الكينونة، دائمة الوجود، تصاحبه في عالمه السفلي إلى غاية، ثم تفارقه لعالمها
العلوي الأصلي. " فالحقيقة الإنسانية لها مجالان: الأول؛ له ظهور في عالم الشهادة من خلال الأجساد،
والثاني؛ له ظهور في عالم الغيب من خلال الأرواح⁽³⁾.

من المرادفات الاستعمالية للحقيقة المحمدية عند ابن العربي الحاتمي: الكلمة المحمدية – النور
المحمدي – نور محمد – حقيقة محمد، الإنسان الكامل، الروح الأعظم، الاسم الأعظم، والاسم
الجامع⁽⁴⁾.

ويبين ابن العربي أن الحقيقة المحمدية هي النور المحمدي، ولها أسبقية الوجود على "النشأة
الجسدية المحمدية"، وظهورها في كل نبي بوجه من الوجوه فهي (مظهر الحقيقة العيسوية من
الحقيقة المحمدية، والحقيقة الموسوية من الحقيقة المحمدية).

إلا أن مظهرها الذاتي التام الواحد، هو: شخص محمد ﷺ، لذلك يستعملها ابن العربي دون
فصل؛ بل على الترادف: فكثيراً ما يقول محمد ﷺ؛ وهو يقصد "الحقيقة المحمدية"، وهذا لا يكون

(1) الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي، علي شوكيفيتش، ص 69.

(2) مصطلحات الصوفية، العدلوني، ص 86.

(3) العلاقة بين الحقيقة المحمدية والإنسان الكامل عند الشار الشيخ محيي الدين بن عربي، عبد المنعم عزيز النصر، ص 218.

(4) المعجم الصوفي، سعاد الحكيم، ص 347 – 352.

لغيره من الأنبياء⁽¹⁾، مع العلم أن "النور المحمدي هو" المادة الأولية التي انطلق منها الأنبياء، ومن ثم الأولياء بعد ذلك⁽²⁾، وهو قدم لصدوره عن قدم.

يرى ابن العربي أن الحقيقة المحمدية هي "المفعول الإبداعي" المقابل "للعقل الأول" الفياض؛ عند الفلاسفة كالفارابي (ت 339 هـ - 950 م)، ابن سينا (427 هـ - 1037 م)، الطوسي (672 هـ - 1274)، إخوان الصفا، الإسماعيلية، الأفلاطونية المحدثة، والفيثاغورية المحدثة.

مع التنبيه هنا بأن تراتبية العقل الفعال عند ابن العربي أولية، ويمثلها قول إخوان الصفا والإسماعيلية، على خلاف الفارابي وابن سينا في تأخير العقل الفعال لسماء القمر.

وهي "القلم الأعلى" الذي أبدعه الله تعالى من غير شيء، والإبداع هنا ليس بخلق، فهي "القلم الإلهي" الكاتب العلام، وهي "الروح القدس" عند أهل الكشوف والتلويحات، وهي الوجود كله، وإنّ النزول منها إليها وبها عليها، وإنّ الحقيقة المحمدية لها في كل شيء وجهان: وجه محمدي، ووجه أحمددي. وهي "قطب الأقطاب" تدور عليه حقائق الأقطاب، مصدر كل شيء، ومنبع كل علم، إليه توجهت العناية الكلية فهو "عين الجمع الموجود"، و"النسخة العظمى"، صورة لاسم "الله" الجامع لجميع الأسماء الإلهية، الذي منه الفيض على جميعها، تجمع صورة العالم كلها بالرب الظاهر فيها، الذي هو رب الأرباب.. فبظاهرها تربيّ ظاهر العالم، وبباطنها ترب باطن العالم، لأنه صاحب الاسم الأعظم. أي المختص به - وله الربوبية المطلقة (الجمع المطلق). وهذه الربوبية إنّما له من جهة مرتبته، لا من جهة بشريته فإنه من هذه الجهة عبدٌ مربوب: محتاجٌ إلى ربه سبحانه وتعالى⁽³⁾.

فتكون الحقيقة المحمدية هي المبدع والمدبر للوجود؛ والسائس لعالم العناصر، وهي الحاوية للحقائق الأزلية، المبدعة للكثرة من الوحدة، لذلك هي علة وجود الكون السفلي ومصدر المعارف والعلوم؛ فهي العقل الفعال في الوجود، ومنها يفيض كل الوجود بتراتبية الأفلاك، وهي متناقلة ومتجسدة في هيئات بشرية من أنبياء ورسول، وبذلك يكون الوجود قديما وأزليا، فهي الوجود كله بتجليات متكاثرة؛ ولذلك كان الوجود واحدا.

وهي "أكمل مُجل خلقي ظهر فيه الحق، بل هي الإنسان الكامل"⁽⁴⁾ بأخص معانيه، أي هي ظهور للباري تعالى "الأول" في هيئة "الإنسان الكامل"، وفعلها بانفعال العقول المستفيدة بالصور المعقولة منها من العالم المفارق العلوي.

(1) المعجم الصوفي، سعاد الحكيم، ص 350.

(2) العلاقة بين الحقيقة المحمدية والإنسان الكامل عند الشاعر الشيخ محيي الدين بن عربي، عبد المنعم عزيز النصر، ص 375.

(3) الفتوحات المكية، ابن العربي، ج 1، ص 94.

(4) المرجع نفسه، ص 159-163.

يفرق ابن العربي بين "الكيونة المادية" و"الكيونة الروحية" لـ محمد ﷺ. فيعتبره في الكيونة المادية ابناً لآدم عليه السلام، وفي الكيونة الروحية هو "النور الأزلي" بجين آدم، وبذلك تكون "الكيونة الروحية" قديمة، و"الكيونة المادية" محدثة. وقد أشار إلى هاتين الكيونتين بقوله:

صلى عليه الله من رحمته
ومن أجله الروح المطهر أسجداً
لأبيه آدم والحقائق نوم
عن قولنا وعن اشتقاق قد هدى (1)

ترتكز مقالة الحقيقة المحمدية عند ابن العربي على ثلاثة: (النشأة الأولى) أصل الوجود. (الإنسان الأول) الإنسان الكامل. (جوامع الكلم) مصدر المعرفة.

أ- (النشأة الأولى) أصل الوجود:

يفصل ابن العربي النشأة الأولى؛ فيقول: "بدء الخلق الهباء (2)، وأول موجود فيه "الحقيقة المحمدية"، ولا "أين" يحصرها، لعدم التحيز. ومما وجد؟ في الهباء... ولما وجد؟ لإظهار الحقائق الإلهية.. فلما أراد (الحق) جود العالم وبدأه على حد ما علمه بعلمه بنفسه، "انفعل" عن تلك "الإرادة المقدسة" بضرب "تجل" من تجليات التنزيه، إلى الحقيقة الكلية. انفعل عنها حقيقة تسمى الهباء.. ليفتح فيها ما شاء من الأشكال والصور، وهذا هو أول موجود في العالم...

ثم إنه سبحانه تجلى بنوره إلى ذلك الهباء.. والعالم كله فيه بالقوة والصلاحية، فقبل منه تعالى كل شيء في ذلك الهباء، على حسب قوته واستعداده.. فلم يكن أقرب إليه قبولاً في ذلك الهباء إلا حقيقة محمد ﷺ المسماة "بالعقل"، فكان سيد العالم بأسره، وأول ظاهر في الوجود، فكان وجوده من ذلك "النور الإلهي" ومن "الهباء" ومن "الحقيقة الكلية"، وفي الهباء وجد "عينه" و"عين العالم" من "تجليه" (3). و"أول ما انسلخ نهار الوجود من ظلمة ليل العدم؛ شعشت أنوار الشموس المحمدية في أفق جبين آدم عليه السلام، فخرت الملائكة سجداً" (4).

يقرر هنا ابن العربي أولية النور المحمدي ومصدريته للحقيقة المحمدية، وقد وردت أولية النور المحمدي الوجودية في كتب الإمامية ونسبت للإمام جعفر الصادق، ولسهل التستري ومعاصره الحكيم الترمذي، والحلاج.

(1) ديوان ابن العربي، ابن العربي، ص 143.

(2) الهباء هو: المادة المحدثة التي خلق الله فيها صورة العالم، فهي "الجوهر المظلم" الذي قبل صور أجسام العالم، ما يسميه الفلاسفة "الهيولى"، تختلف في مادتها عن الجسم الكلي الموجود المتعين، في أنها غير متعين، جوهر يقبل المعاني.

- المعجم الصوفي، سعاد الحكيم، ص 1095.

(3) الفتوحات المكية، ابن العربي، ج 1، ص 118-119.

(4) شجرة الكون، ابن العربي، ص 75.

فالنور المحمدي كامن في جبين آدم عليه السلام، وهو مطلع نشأة الكون وأصلها وعقدتها وحلها، والملائكة مسخرة لخدمته، وكان محل الحقيقة المحمدية أن تتكون وتكمن في أول جسد حادث وهو جسد آدم عليه السلام، والرسول محمد ﷺ من ذريته، فانتقل الجسد من آدم لمحمد ﷺ، وانتقلت النور المحمدي من آدم لمحمد ﷺ، فاكتملت الكينونة الروحية والكينونة المادية في مقام الرسول ﷺ، فقد "خلق النبوة من امتزاج الأبوين.. فكمال الابن أعظم من كمال الأب، ولهذا اختص محمد ﷺ بالكمال الأتم؛ لكونه ابنا"⁽¹⁾، فأدم خلق على صورته (الحق)، وحواء من آدم، وذريتهما منهما، وآخر أبناء آدم من الرسل هو محمد ﷺ، فكان آخر الكمال الجسدي والروحي.

في تراتبية الوجود تكون "الحقيقة المحمدية" أول ظاهر في الوجود، وإن كان وجودها عن "الهباء" و "حقيقة الحقائق". فالأول - أي "الهباء" - حقيقة معقولة غير موجودة في الظاهر. والثانية - أي "حقيقة الحقائق" - لا تتصف بالوجود ولا بالعدم. إذن، يتبقى أن "الحقيقة المحمدية" هي أول موجود ظهر في الكون، ومن "تجليه" ظهر العالم"⁽²⁾.

فالعالم لم يوجد الحق أولاً، بل "الحقيقة المحمدية" هي موجدت العالم الظاهر، لذلك فإن "الوجود كله هو "الحقيقة المحمدية"، وإن النزول منها إليها، وبها عليها. وإن الحقيقة المحمدية في كل شيء لها وجهان: وجه محمدي ووجه أحمدي:

فالمحمدي: علمي جبرائيلي.

والأحمدي: إيماني روحي أمي..

وإن "التنزيل" للوجه المحمدي. و "التجلي" للوجه الأحمدي"⁽³⁾.

يفهم من كلام ابن العربي أن الحقيقة المحمدية غير مخلوقة، وتجليها الكوني الظاهري من غير مادة، لأن الهباء له وجود تجريدي، وأسبقية غير زمنية، ثم الحقيقة المحمدية هي علة الوجود الكوني العلوي والسفلي.

يقول ابن العربي عن بداية الوجود الكوني المتعين أن منطلقه من الهباء، "بجود" من الحق، وانفعال عن الإرادة المقدسة بضرب "تجل" من تجليات التنزيه، إلى الحقيقة الكلية. ونتيجة الانفعال الجودي هو الهباء، فلما تجلى الحق بنوره إلى ذلك الهباء، كان أقرب شيء في الهباء للتجلي النوراني هو حقيقة محمد ﷺ المسماة "بالعقل". أي من العقول المفارقة العلوية، وهي نتيجة تفاعل الجود الإلهي والنور الإلهي.

(1) الفتوحات المكية، ابن العربي، ج10، ص 145.

(2) المعجم الصوفي، سعاد الحكيم، ص 349.

(3) بلغة الغواص، ابن العربي الحاتمي، ورقة 133. نقلا عن: سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، ص 349.

" ولا يزال هذا العقل (العقل الأول = الحقيقة المحمدية) متردداً بين الإقبال والإدبار. يقبل على باربه مستفيداً، فيتجلى له؛ فيكشف في ذاته من بعض ما هو عليه.. ويقبل على من دونه مفيداً، هكذا أبدأ الآباد"⁽¹⁾. في إقباله على الحق يتلقى فيض الصور المعقولة (الأسرار الأزلية، العلم، المعرفة)، و في ادباره على من دونه يفيض هو بالصور المعقولة على العقول التي تليه إلى أن يصل الفيض للعقل المستفاد.

بالرجوع لأوائل التنظيرات لفلسفة الفيض عن العقل الأول والعقل الفعال، نجد فلاسفة الفيضية يجمعون على أن العقل الفعال هو موجد العالم، لامتلاكه التعددية الصفاتية القابلة لإبداع تعددية كونية وجودية، وامتلاكه لصفة العلم الإرادة والقدرة، ودوام تلقيه للفيض والصدور النوراني، و دوام فيضه على الوجود السفلي، الذي هو انعكاس للوجود العلوي بعد تعين العناصر الأربعة، فيكون العقل الفعال المحمدي أصل ظهور وتحلي الكون كله، أي أن "العالم الواقعي الظاهر لنا هو انعكاس للعالم الإلهي، فيكون عالماً خيالياً و ظل لعالم حقيقي، و هو ما يقرره ابن العربي بأن عالماً خيالياً، " لأن حقيقته ﷺ كانت موجودة في الهباء.. ومعنى ذلك أن الوجود الخارجي للنبوة - وهو الوجود الفعلي الواقعي في العالم - مجرد مظهر لصورة هذا الوجود في العالم الإلهي القديم"⁽²⁾.

و " الاسم الأعظم" لا يكون إلا له (محمد ﷺ) دون غيره من الأنبياء. ومن "فرديته" يعلم سر قوله: "كنت نبياً وآدم بين الماء والطين"؛ كونه خاتم النبيين، وأول الأولين، وآخر الآخرين. ومن "أوليته وجمعيته" سر قوله: "أوتيت جوامع الكلم"؛ وكونه أفضل الأنبياء فإنهم في التصاعد وسعة الاستعداد والمرتبة ينتهون إلى "التعين الأول"⁽³⁾ ولا يبلغونه. و"التعين الأول" هو محمد ﷺ الذي يرجع إليه جميع التعينات، فهو البرزخ بين الذات الأحادية وبين سائر الموجودات"⁽⁴⁾.

تمثل الحقيقة المحمدية القديمة صورة للحقيقة الكاملة الكامنة بكونيتها الروحانية والعرفانية، فتتناقل بين الأنبياء، ويتصل بها الأولياء، أما الحقيقة المحمدية الجسدية فقائمة في شخص الرسول

(1) رسائل ابن العربي الحاتمي، القطب والنباء وعقلة المستوفز، محيي الدين بن العربي، ص 83.

(2) شعر عمر بن الفارض، عاطف جودة ناصر، ص 204-205.

(3) "التعين" بعد مرتبة "العلماء"، والتعين هو: علم الذات بالذات من حيث الأحادية الجمعية، أي علم الحق تعالى في مقام الذات بذاته من حيث الأحادية الجمعية، والتعين الأول هو التعين الأول لتعينات الحق بعد مقام الذات - الذي هو مقام الإطلاق المقسم والمقسط لكافة الإضافات والذي لا يعلمه أحد - يمكن أن يعلمه بعض أهل المعرفة.-

و يطلق على مرتبة التعين الأول: (أول مرتبة معلومة)، (الأحادية)، (أول مرتبة منعوته)، (المسمأة المنعوته)، (مرتبة الجمع و الوجود)، (حقيقة الحقائق)، (حضرة أحادية الجمع)، (مقام الجمع).

- العرفان النظري؛ مبادئه وأصوله، يد الله يزدان بناه، ص 364-365.

(4) شرح القاشاني على الفصوص، القاشاني، ص 266-267.

محمد ﷺ، وهنا يفصل بين تأليه الحقيقة المحمدية بكونها خالدة أزلية؛ لأنها تمثل تعين عقلي حاوي لكل الحقائق، وليست خالدة بكيونتها الفيزيقية الثابتة أبويا لآدم عليه السلام. وهذه أهم الفروق التي يجب ضبطها في طرح ابن العربي.

وجلي من كلام القاشاني حين يبين مذهب شراح فصوص الحكم في "الحقيقة المحمدية" بأزلية "النور المحمدي"، وهو ما بين أبو العلا عفيفي⁽¹⁾، والنور المحمدي مفارق للجسد المحمدي، وباجتماعهما يكون الإنسان الكامل، لتجعل منه سبب خلق العالم، فالإنسان الكامل هنا هو نسخة من العالم، وعلّة وجوده، وروح العالم القائم "بالأحدية"، التي هي أصل النشأة الأولى. لذا نلاحظ الترابط والتلاحم في مقالة ابن العربي بين الحقيقة المحمدية والإنسان الكامل الظاهر، وعليه نتقل لمعرفة الإنسان الكامل لدى ابن العربي.

ب- (الإنسان الأول) الإنسان الكامل⁽²⁾:

الإنسان الكامل هو: الإنسان الأول، الإنسان الأزلي، العقل الأول، أصل العالم، أصل الجوهر الفرد، الحقيقة الكلية، المفيض، الروح الكلي، ظل الله، الإنسان الأرفع، الإنسان الحقيقي... وابن العربي هو أول من استعمل تعبير "الإنسان الكامل" في الفكر الصوفي والفلسفي والإسلامي.. والإنسان الكامل هو المقصود من الكينونة، فهو وسط بين الحق والخلق، ولولاه لما وجد الكون، ولا انتفت الغاية من الخلق، والإنسان الكامل علته في كمال معرفته بالحق وعبوديته الخالصة⁽³⁾. يستعمل ابن العربي مصطلح الإنسان الكامل للدلالة على محمد ﷺ كثيرا، وعلى الحقيقة المحمدية غالبا دون تفريق، والنور المحمدي، وعلى من تحقق بالفناء المحمدي فبلغ درجة التحقق بمرتبة الإنسان الكامل من الأولياء الأقطاب.

يقول ابن العربي: "كما كان المقصود من العالم الإنسان الكامل، كان من العالم أيضا الإنسان الحيوان، المشبه للكامل في النشأة الطبيعية، وكانت الحقائق التي جمعها الله في الإنسان متبددة في العالم، فنادها الحق من جميع العالم فاجتمعت، فكان من جمعيتها الإنسان..". و "العالم كله لولا الإنسان الكامل ما وجد، وأنه بوجوده صح المقصود من العالم الحادث بالله.. والعالم مسخر له علويه وسفليه،

(1) نظريات الإسلاميين في الكلمة، أبو العلا عفيفي، ص 22-75.

(2) يعد عزيز الدين النسفي (ت700هـ - 1301م) أول من ألف كتابا بعنوان "الإنسان الكامل" في العالم الإسلامي بالفارسية، ثم تلاه عبد الكريم إبراهيم الجيلي (ت805هـ - 1403م).

- محيي الدين ابن عربي؛ الشخصية البارزة في عرفان الإسلام، محسن جهانكيري، ص 455.

(3) فكرة الإنسان في مذهب محيي الدين بن عربي، محمود محمد قاسم، ص 143-144.

والإنسان الحيوان من جملة المسخر له، ويشبه الإنسان الكامل في الصورة الظاهرة، لا في الصورة الباطن من حيث الرتبة" (1).

جعل ابن العربي "الله" مقياسا للكمال الإنساني.. والإنسان الكامل هو محمد ﷺ.. وتتحدد وظيفة الإنسان الكامل أنطولوجيا بأنه الحد الجامع الفاصل بين "الحق" و "العالم" .. وتتحدد وظيفته إبستمولوجيا بأنه المشكاة التي يستمد من خلالها كل عارف معرفته، وكل عالم علمه، حتى الأنبياء: (2). لذا كان تحقق الإنسان الكامل وجوديا واجبا، لأنه تجلي وتحقيق للاسم الأعظم، وتعين للحقيقة المحمدية في صورة الإنسان الكامل.

فهو صورة تجتمع فيها الخلائق و الحقائق كاملة، و مرحلة الجمع بعد الفرق، اجتمعت فيه حقائق ما افترق في العوالم، و " لا يزال العالم محفوظا مادام فيه هذا الإنسان الكامل" (3)، و هنا يكمن تعظيم ابن العربي للجانب الروحي و العرفاني للإنسان، فالإنسان عنده يكمل بما اتصف من صفات الحق، و ترقى بكاملات العبودية، و علا بمقامات التوحيد، لذا يجعل الحقيقة الكاملة و الكلمة و النور المحمدي و الحقيقة المحمدية خالدة، لأنها مجموع حقائق وصفات متعالية دائمة أبدية؛ غير خاضعة للتجزؤ الفيزيقي و لا المكاني و لا الزماني، و هي شرط صحة الخلافة في الأرض.

ومنتهى مقصد الكمال الإنساني تحقيق الحقيقة المحمدية، فالكمالات متعددة ومتدرجة؛ غير أن الإنسان الكامل هو الحاصل على الحقيقة المحمدية بالنور المحمدي الكامل، ومنه يرى ابن العربي استمرار الحقيقة المحمدية في الأولياء بعد الأنبياء، وأكمل ورثتها ورثة رسالة الرسول محمد ﷺ، وهم الأقطاب، ولكل درجات.

والنبي محمد ﷺ هو "الصورة الكاملة" للإنسان الكامل الذي يجمع حقائق الوجود، ولهذا يعتبر ابن العربي الحاتمي "الحقيقة المحمدية" منتهى غايات الكمال الإنساني (4)، وقد عبر عن ذلك بقوله بأنه " أكمل موجود في هذا النوع الإنساني، ولهذا بدئ به الأمر وختم" (5).

فالإنسان الكامل المطلق هو محمد رسول الله ﷺ ، أما مطلق الإنسان الكامل فهم الأنبياء اصطفاء والأولياء ارتقاء، باعتبار انتقال الحقيقة المحمدية بينهم، وهي لا تنتقل إلا من إنسان كامل لإنسان كامل، وأكمل درجاتها في العالم السفلي التجسد المحمدي المكاني والزماني.

(1) الإنسان الكامل، محي الدين بن العربي، ص 2-3.

(2) المعجم الصوفي، سعاد الحكيم، ص 159-163.

(3) فصوص الحكم، ابن العربي، ج 1، ص 50.

(4) المعجم الصوفي، سعاد الحكيم، ص 348.

(5) فصوص الحكم، ابن العربي، ج 1، ص 214.

يقول الجيلي: "الإنسان الكامل" هو "القطب" الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره، وهو "واحد" منذ كان الوجود إلى أبد الأبد، ثم له تنوعٌ في ملابس، ويظهر في كُنائس، فيسمى به باعتبار لباس، ولا يسمّى به باعتبار لباسٍ آخر، فاسمُه الأصلي الذي هو له محمد، وكنيته أبو القاسم، ووصفه عبد الله، ولقبه شمس الدين...

واعلم أن "الإنسان الكامل" مقابل لجميع الحقائق الوجودية بنفسه، فيقابل "الحقائق العلوية" بلطفته، ويقابل "الحقائق السفلية" بكثافته...

ثم اعلم أن "الإنسان الكامل" هو الذي يستحق الأسماء الذاتية والصفات الإلهية؛ استحقاق الأصاله والملك؛ بحكم المُتَّصَى الذاتي، فإنه المعبر عن حقيقته بتلك العبارات، والمشار إلى لطيفته بتلك الإشارات، ليس لها مستند في الوجود إلا "الإنسان الكامل"، فمثاله "الحق"؛ مثال المرأة التي لا يرى الشخص صورته إلا فيها، وإلا فلا يمكنه أن يرى صورة نفسه إلا بمرآة الاسم (الله) فهو مرآته، و "الإنسان الكامل" أيضاً مرآته⁽¹⁾.

وكمال الإنسان بأحقيقته في جمع المعارف كلها فيه، لذا استقر القول على أنه مشكاة المعرفة، والقطب العرفاني الروحاني للفيض الرباني والإلهام اللدني، فكان مصدراً للمعرفة الكلية الحقيقية.

ت- (جوامع الكلم) مصدر المعرفة:

الحقيقة المحمدية حاوية لجوامع الكلم، أي أسرار الحق والخلق، الأسرار الأزلية الإلهية والوجودية. والمعرفة المرادة هنا هي العرفان الباطني؛ وأسرار الحقائق، وعلوم الأولين والآخرين.

وآدم عليه السلام حين عَظُم على الملائكة؛ كان التعظيم بما عُلِم من الأسماء، فكانت الحقيقة المحمدية سر ذلك، وبه بلغ الإنسان الكامل مراتب الكمال والجمع للمعارف دون غيره، فهو حاوي لخزائن الأسرار الأزلية الإلهية والوجودية، مع استمرار تلقيه للفيض النوراني.

لذلك نجد جوهر "الحقيقة المحمدية" في تحقق الإنسان الحامل لها " بكمال المعرفة بالنفس وبالله، فالإنسان الكامل هو من أدرك في مرحلة من مراحل كشفه؛ وحدته الذاتية بالحق، ووصل من تحققه هذا إلى كمال المعرفة بنفسه وبالله، فهو إنسان كامل في معرفته⁽²⁾.

وبذلك كانت حقيقة آدم المحمدية أول معلم ظهر في الإنشاء باعتبار نشأته الظاهرة.. فالحقيقة المحمدية: مجموعة صور آدم الظاهرة والباطنة، الموصوفة بجميع صفات الحق، وفوض إليها تدبير كل شيء يوجد بعدها، لأنها الخزانة الجامعة لعلم الحق⁽³⁾.

(1) الإنسان الكامل، عبد الكريم جيلي، ج 2، ص 73-74.

(2) المعجم الصوفي، سعاد الحكيم، ص 161.

(3) المواقف، الأمير عبد القادر الجزائري، ج 1، ص 249-274.

و لأن النبوة من محمد ﷺ بدأت وإليه تعود فقد " استدار الزمان؛ فأظهر محمدا ﷺ - كما ذكرناه -
جسما وروحا بالاسم الظاهر حسا، فنسخ من شرعه المتقدم ما أراد الله أن ينسخ منه، وأبقى ما أراد الله
أن يبقى منه.. ولهذا كان العلم في هذه الأمة أكثر مما كان في الأوائل، وأعطى محمدا ﷺ علم
الأولين والآخرين" (1).

لأن كل العلوم والمعارف والوحي تصدر عن العقل الأول (الفعال) وهو الحقيقة المحمدية و "كل
نبي من لدن آدم إلى آخر نبي ما منهم أحد يأخذ إلا من مشكاة خاتم النبيين، وإن تأخر وجود
طينته، فإنه بحقيقته موجود، وهو قوله ﷺ "كنت نبياً وآدم بين الماء والطين" (2).

فالحقيقة النبوية المحمدية هي الفيض الرباني العرفاني النازل على أنبيائه، وتمثل " الصورة
المحمدية، والشجرة الإنسانية الجامعة الكلية.. شجرة النور والكلام.. وكلمة الوجود، وجوامع
الكلم، ومعدن الأسرار والحكم" (3)، والنفس الناطقة للكون، وكل نفس ناطقة تعلق بالنفس الناطقة
المحمدية، ومعرفتك بنفسك تزيد بتعلقها بالنفس الناطقة للحقيقة المحمدية (4).

رابعا: مملكة العرفان.

خطط ابن العربي دولة رسمها بعد تأصيله لأركانها: الحق، الإنسان الكامل، الحقيقة المحمدية.
ثم انتقل لمرحلة إثبات أن الحقيقة المحمدية مستمرة في أمة محمد رسول الله ﷺ، واستمرارها في
"مملكة الولاية"، التي يرأسها "الغوث" قطب الأقطاب.

فمشروعية المرجعية المطلقة للغوث مستمدة من تحصيله للحقيقة المحمدية، وهنا توسع ابن
العربي في مشروعه المنطلق من أول تعيين إلى آدم إلى خاتم الأنبياء إلى يوم القيامة، فتكون مراتب الوجود
في استمرارية، وفيض الأسرار الوجودية والإلهية في ديمومة لا تزول إلا بارتفاع الحقيقة المحمدية، التي
يقتضي ارتفاعها ارتفاع الروح الحاوية وهلاك الجسد الظاهري للإنسان الكامل الأخير.

وسيكون لكل زمن قطبه الأوحى الذي لا شريك له: "الغوث"، ودونه أقطاب تبع له، ودونهم
مشايخ ومريدون وأتباع وعمامة، وهي دولة واقعية رسمها ابن العربي وتجسدت بعد وفاته، بظهور
مؤسسات مترابطة بنظم وإدارة وتسلسل في التسيير وفق منهج ابن العربي الذي خطه في مصنفاته.

(1) الفتوحات، ابن العربي، ج1، ص 186.

(2) فصوص الحكم، ابن عربي، ج 1، ص 63-64.

(3) النور المحمدي في ميدان الفلسفة الإسلامية، أميمة محمد، ص93.

(4) تذكرة الخواص، ابن عربي، فقرة 57.

ورجالها سماهم **ابن العربي " عالم الأنفاس "**، ومنهم الأقطاب الجامعون لأحوال والمقامات بالأصالة أو النيابة، ومنهم من يكون ظاهر الحكم كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين،⁽¹⁾ والترقي في معارج الولاية هو التحقق بالقرآن، فمقامات الأنبياء والأولياء وأحوال السالكين والواصلين وعلوم الكمل والعارفين؛ مثلها مثل آيات الآفاق والأنفس، مظاهر للحقائق القرآنية، وتحقق السالك بمقام؛ هو عين تحققة بآية أو سورة؛ هي روح ذلك المقام، ولهذا نجد الشيخ لا يذكر مقاما أو حالا أو طبقة من الأولياء إلا ويورد السورة أو الآية الممددة⁽²⁾.

والحقيقة المحمدية الجامعة الكاملة الشاملة في عالم العناصر تظهر في صور الأنبياء ثم صور الأولياء، الأولى لتعليم الأحكام والإرشاد، والثانية لتعريف الأسرار. وبظهور خاتم الولاية يكون آخر مظهر للإنسان الكامل، وانتهاء مرحلة الولاية، وظهور جميع الأسرار الوجودية والحقائق الإلهية، وبرجوعه إلى الذات الإلهية ينتهي عالم الوجود⁽³⁾.

يثبت بذلك **ابن العربي** علمية وشمولية دولة العرفان، فهي مستمرة مادامت السموات والأرضون تحمل بينها الإنسان الكامل صاحب الحقيقة المحمدية.

خاتمة:

نصل إلى ختام ورقة البحث المقدمة عن **الحقيقة المحمدية** لدى الإمام الشيخ محيي الدين بن العربي الحاتمي الطائي، وقد تجلت في الورقة قواعد الحقيقة المحمدية وهي النشأة الأولى والإنسان الكامل وجوامع الكلم.

و هي علة الوجود، لأن الله تعالى تحقق اسمه الأعظم بتعيينها وظهورها في الإنسان الكامل، و فضل آدم على الملائكة ليس بزيادة تعبد؛ بل بزيادة علم، أي بالحقيقة المحمدية، لأجل ذلك كانت علة وجود العالم، وكان الإنسان الكامل جامعا لما افترق في العالم كله، و تحقق كمال عبوديته بتحقيق كمال معرفته بالأحادية الجمعية، و متى انتهى أجله في عالم الكينونة السفلية؛ رفع معه عمود الأرض، فأطبقت السماء على الأرض، و انتهى الوجود الأرضي السفلي، بارتفاع الحقيقة المحمدية مع الإنسان الكامل الحامل لها.

وهندسة نشأة الوجود لدى **ابن العربي** وعلاقة الوجود بالحق، وعلاقة الإنسان بهما؛ كل هذا يناقش في النظرية التأسيسية لنشأة الكون وهي **الحقيقة المحمدية**، لأن الوجود هو تجلي للأسماء والصفات

(1) الفتوحات، ابن العربي، ج 2، ص 215 وما يليها.

(2) بحوث حول كتب ومفاهيم الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي، عبد الباقي مفتاح، ص 101.

(3) محيي الدين ابن عربي؛ الشخصية البارزة في العرفان الإسلامي، محسن جهانكيري، ص 464.

الإلهية، والوجود كله تعين من الحق ليجتمع في حقيقة واحدة تجعل من حاملها محور الكون، وهو الإنسان الكامل.

ولن نجد ابن العربي يلتفت كثيرا للإنسان الحيواني بقدر ما يستفيض في بحث الإنسان العرفاني الذي يترقى في مراتب الكمال، ويركز على الإنسان الكامل كعمود حامل للحقيقة المحمدية ورافع للسماء أن تقع على الأرض.، بل يبني مدينته الفاضلة ببناء عملية الوصول للإنسان الكامل.

وخلاصة نتائج الورقة البحثية هي:

- الحقيقة المحمدية قديمة وأزلية.

- الحقيقة المحمدية هي مبدأ العالم وأصله. من حيث أنها "النور" الذي تعين قبل كل شيء، ومنه كل شيء. وهي أول مرحلة من مراحل التنزل الإلهي في صور الوجود.

- الحقيقة المحمدية تتجلى في "الإنسان الكامل"؛ الذي تجلت فيه كل الأسماء والصفات الإلهية.

- الحقيقة المحمدية هي "المشكاة" التي استقى منها جميع الأنبياء ثم الأولياء.

- الحقيقة المحمدية منتهى غايات الكمال الإنساني، والصورة الكاملة "للإنسان الكامل"،

الجامع لحقائق الوجود.

- محمدا ﷺ له حقيقة "الختم"، (خاتم الأنبياء)، يقف بين الحق والخلق.

- الحقيقة المحمدية هي العقل الفعال في الكون، وبلوغها من الأولياء دليل استمرارها.

- النظام العام التشريعي والدعوي يكون لقطب الأقطاب لتحقيقه بالكمال الإنساني، وبلوغه

الحقيقة المحمدية بصفته من ورثة الأنبياء وورثة النور المحمدي.

فهرس المراجع:

1. أبو سالم العياشي المتصوف الأديب، عبد الله بنصر العلوي، منشورات وزارة الأوقاف

والشؤون الإسلامية، القاهرة، ط، 1998.

2. الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، الجليلي عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم، دار

مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط 4، 1402 هـ.

3. الإنسان الكامل، محيي الدين بن عربي، دون معلومات نشر.

4. بحوث حول كتب ومفاهيم الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، عبد الباقي مفتاح، دار

الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2011.

5. التعريفات، الجرجاني علي بن محمد بن علي الزين الشريف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط

1، 1403 هـ - 1983 م.

6. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، (ت، سامي بن محمد سلامة)، دار طيبة، الرياض، ط2، 1420هـ - 1999 م.
7. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن أبو جعفر الطبري (تحقيق، أحمد محمد شاكر)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420 هـ - 2000 م.
8. دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار، الجزولي أبو عبد الله محمد بن سليمان، (ت، خالد أبو عوف)، المكتبة العصرية، صنعاء، ط ، دت.
9. رسائل ابن العربي الحاتمي، القطب والنقباء وعقلة المستوفز، محيي الدين بن العربي، (ت، سعيد عبد الفتاح)، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط 1، 2002.
10. شجرة الكون، محمد بن علي بن محمد محيي الدين ابن العربي الطائي الحاتمي، (ت، رياض العبد الله)، ط2، 1405هـ-1985م.
11. شرح القشاني على الفصوص، القاشاني؛ عبد الرزاق جمال الدين بن أحمد كمال الدين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط3، 1986.
12. الشعر الصوفي بين الانفصال والتوحد، توفيق سلطين، دار مصر العربية، القاهرة، ط 1، 1995.
13. شعر عمر بن الفارض؛ دراسة في فن الشعر الصوفي، عاطف جودة نصر، دار الأندلس، بيروت، ط 1، 1994.
14. عبد الكريم قاسم سعيد، قضايا وإشكاليات التصوف عند أحمد بن علوان، مكتبة مراد، صنعاء، ط 1، 1997.
15. العرفان النظري؛ مبادئه وأصوله، يد الله يزدان بناه، (ترجمة، علي عباس الموسوي)، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط1، 2014.
16. العلاقة بين الحقيقة المحمدية والإنسان الكامل عند الشار الشيخ محيي الدين بن عربي، عبد المنعم عزيز النصر، مجلة جامعة تكريت للعلوم، العراق، أيار 2011.
17. الفتوحات المكية، محمد بن علي بن محمد محيي الدين ابن العربي الطائي الحاتمي، (ت، عثمان يحيى)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1985.
18. فصوص الحكم، محمد بن علي بن محمد محيي الدين ابن العربي الطائي الحاتمي، (ت، أبو العلا عفيفي)، مطابع الحلبي، حلب، ط1، 1365هـ.
19. فكرة الإنسان في مذهب محيي الدين بن عربي، محمود محمد قاسم، مجلة المجلة، مارس 1970، العدد 159.

20. قصة الحلاج وما جرى له مع أهل بغداد، الحلاج الحسين بن منصور، (ت، سعيد عبد الفتاح)، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط1، 2000.
21. قضايا وإشكاليات التصوف عند أحمد بن علوان، عبد الكريم قاسم سعيد، صنعاء، مكتبة مراد، ط1، 1997.
22. قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد، أبو طالب المكي، (ت، محمد بن علي بن عطية)، المطبعة المصرية، القاهرة، ط1، 1351 هـ.
23. محيي الدين ابن عربي؛ الشخصية البارزة في العرفان الإسلامي، محسن جهانكيري، (تعريب، عبد الرحمن العلوي)، دار الهادي، بيروت، ط1، 2003.
24. معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، (ت، محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش)، دار طيبة، الرياض، ط4، 1417 هـ - 1997 م.
25. المعجم الصوفي؛ الحكمة في حدود الكلمة، سعاد الحكيم، دار درندة، بيروت، ط1، 1981.
26. معجم مصطلحات التصوف الفلسفي، محمد العدلوني، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 2002.
27. المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف، الأمير عبد القادر الجزائري، (ت، عبد الباقي مفتاح)، دار الهدى، الجزائر، ط1، 2005.
28. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، علي سامي النشار، دار المعارف، القاهرة، ط8، 1977.
29. نظريات الإسلاميين في الكلمة، أبو العلا عفيفي، القاهرة، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، 1943.
30. النفحة العلية في أورد الشاذلية، عبد القادر زكي، مكتبة المثني، القاهرة، ط، دت.
31. النور المحمدي في ميدان الفلسفة الإسلامية، أميمة محمد عبد الله كليب، رسالة دكتوراه في الفلسفة، إشراف عبد المتعال زين العابدين، قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، 2006.
32. الوحي في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي الواحدي، (تحقيق: صفوان عدنان داوودي)، دار القلم، دمشق، ط1، 1415 هـ.
33. الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، علي شوكيفيتش، (ترجمة: أحمد الطيب)، دار القبة الزرقاء، مراكش، ط1، 1998.